بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة والثلاثين لرحيل الإمام الخميني(رض)

الإمام الخميني ما زال - وسيبقى - حاضراً بقوَّة بجهاده وفكره ومنهجه وإنجازاته

■ محمد اسدي موحد (باحث و أستاذ جامعة)

تحل علينا هذه الأيام الذكرى السنوية الثالثة والثلاثين لرحيل زعيم الامة الاسلامية الامام السيد روح الله الموسوي الخميني (رضوان الله تعالى عليه).. القائد الذي صنع معجزة العصر باقامة الحكومة الاسلامية في ايران في ١١ شباط ١٩٧٩ فدخل بذلك التاريخ من اوسع ابوابه. فالأمام رضوان الله عليه يعتبر من الشخصيات المهمة التي برزت في مسيرة البشريّة الممتدّة إلى حقب وقرون طويلة، والتي كان لها دور كبير في إحداث تحولات كبرى وصنع وقائع ساهمت في تغيير مسار التاريخ عند مراحل ومحطات مفصلية شاخصة. ولا شكّ في أنّ مفجّر الثورة الإسلامية في إيران وقائدها الإمام الخميني (قدس سره الشريف)، يعدّ واحداً من أبرز الشخصيات التي أسهمت في إيجاد نهضة إنسانية عالمية في التاريخ المعاصر، عبر حركة جهادية امتدّت إلى ما يقارب ٦ أو ٧ عقود من الزمن.

وقد تميَّزت شخصية الإمام الخمينى بالقدرة على القيادة بحكمة، ضمن المنهج الإسلامي، دون فرض الإسلام، أو تحقير غير المسلم. كما أن سياساته العملية، وإنجازاته كافة، لم تقف عند حدود الزمن الذي عاش فيه . بل تعدَّت ذلك للعصور الحالية واللاحقة. وهو الأمر الذى جعل فكره، يستمر مع الزمن. فيما شكلت شخصيته التى تميزت بالصفات القيادية الإسلامية، نموذجاً للحكام والمسؤولين. كما أن إنجازاته ما تزال مستمرة تنبض حتى يومنا هذا؟ فلم يكن الإمام الراحل مجرَّد زعيم سياسيّ هدفه الوصول إلى السّلطة والحكم، بقدر ما كان مصلحاً عالمياً كبيراً، قاد مشروعاً شاملاً للتغيير والإصلاح. وما زال هذا المشروع متواصلاً، رغم مرور أكثر من ٣ عقود على رحيل قائده. وكان العنوان الأبرز والأوضح لمشروع الإمام الخميني الإصلاحي هو الثورة الإسلامية.

إنَّ المتابع أو الباحث لا يمكنه أن يقف على حقائق الثورة الإيرانية ويشخّصها بدقّة ما لم يتوقّف عند الخطاب المتعدّد الأبعاد والجوانب الَّذي تبنّاه الإمام الخميني منذ الانطلاقة الحقيقية لحركته الشاملة باتجاه التغيير في العام ١٩٦٣ وحتى وفاته في العام ١٩٨٩؛ ذلك الخطاب الَّذي شكَّل ثوابت النظام السياسي الإسلامي في إيران ومبادئه، والإطار العام لمنهج محور

أو جبهة المقاومة، وهو ما يعني أنه لا يمكن بأيّ حال الفصل بين الثورة وظروف انتصارها والتحديات التي واجهتها في شتى مراحلها، وأن الإمام الخميني كقائد ومرجع وصانع حدث تاريخي كبير، لم يتوقّف دوره وحضوره وتأثيره حتى بعد رحيله. وفي الواقع ان الإمام الراحل قد أرسى أسس النظام الإسلامي ودعائمه ومرتكزاته وفق رؤية عميقة وصائبة ودقيقة. لذا، من الطبيعي أن تكون ذكرى غيابه بمثابة فرصة ومناسبة للتشديد على ثوابت الثورة والنظام والدولة ومبادئها، وهو ما يبدو واضحاً وجلياً إلى حدّ كبير في مختلف أحداث المشهد الإيراني العام ووقائعه وتفاعلاته، ولا سيّما تلك المتعلّقة بترسيخ نظام الجمهوريّة الإسلاميّة وتكريسه.

فقد كان دور الإمام الخمينى من خلال القيام بالثورة الإسلامية، دوراً بارزاً فى تقديم نموذج الإسلام الحقيقى، إدراكاً منه بأن الإسلام وتعاليمه الجامعة، يُشكل العقبة الأكبر فى طريق استمرار القوى الكبرى الاستكباريّة فى العالم، والهيمنة على مصالح الشعوب والأمم. وبالتالى فقد استطاع الإمام، إحياء الإسلام الصحيح، وهو الأمر الذى شكل ضربة قويّة لمخطّطات الإستعمار والإستكبار.

من هنا يعتبر موضوع بروز الأمة الإسلامية من جديد على الساحة العالمية، هو من أهم ما حققته سياسات الإمام الخمينى. فالأمر لم يكتفِ فقط فى تحقيق انتصار الثورة الإسلامية. بل تعدى ذلك لمسألة جعل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، قوةً عالمية يحسب لها الف حساب .

بصورة عامة شكل الإمام نموذجاً للقائد القادر على ربط الماضى بالحاضر والمستقبل. وكان رجلا إستراتيجيا كما يصطلح الغرب. حيث أنه أسس لما لم يفهمه أحدٌ حينها، خصوصاً عندما انتصرت الثورة وأصبحت القدس هدف الأمة الإسلامية. إلى جانب ذلك، إنَّ شموليَّة شخصيّة الإمام الخميني وعالميّتها جعلته دائم التأثير والحضور في المشهد العالمي، بأبعاده السياسية والفكرية والثقافية والإنسانية، كما جعلته ملهماً للكثيرين، حتى أتباع الديانات الأخرى غير الإسلامية وأصحاب الأفكار والنظريات والآراء البعيدة عن الفكر الإسلامي.

أما اليوم، فإن العالم بأسره بدأ يُدرّس فكر الإمام الخمينى كفكر إستراتيجيٍ يصلح لكل زمن. وهنا يمكننا وبموضوعية القول، بأن إنجازات الإمام الخمينى من انتصار الثورة الى ترسيخ أهمية الوحدة الإسلامية فجعل القدس قبلة المسلمين، كلها تُعد أسباباً لإنجازات الشعوب المستضعفة فى العالم، أو ما تُسميّه السياسة الدولية محور المقاومة والممانعة. لنصل الى حقيقةٍ مفادها، بأن الإمام الخمينى (قدسره) هو شخصيةٌ خالدة بإنجازاتها التى تتخطى حدود الزمن وتصلح لكل زمن. من هنا سيضل الإمام الخميني شخصية رائدة في السياسة والفكر والعرفان ، في القيادة والتطبيق العملي للفكر ، في النظرية وكيفية التطبيق ، فلقد عاش مجاهدا طوال عمره من أجل الكلمة ، ومن أجل العدل وضد التكبر والظلم والاستعلاء والاستكبار ، فكانت حياته سلسة مستمرة من العمل من أجل تطبيق أسس الثورة ضد الشاه وأعوانه من المستكبرين والصهيونيين ، وقد نجح في ذلك كثيرا رغم كل الصعوبات والحروب التي شنها الأعداء عليه من القوى العالمية والإقليمية ، فكانت ومازالت أفكاره صالحة حية ينظر إليها الأصدقاء بالزهو ، والأعداء بالحسد .

ان عظمة الإمام الخميني طبعا لم تتجلَّ في أدواره ومواقفه السياسية والجهادية فحسب، وإنما تجلَّت أيضاً من خلال مكانته الفكرية التي ترجمتها عشرات المؤلّفات القيمة في مختلف الجوانب الدينية والفكرية والثقافية والسياسية، والتي جعلته دائم الحضور حتى بعد رحيله في مختلف ميادين العلم والمعرفة، إذ يضمّ أرشيف مؤسَّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني في الوقت الحاضر ١١٢٦ خطاباً للإمام، و٤٧٠ حكماً، و٣٦٧ رسالة موجّهة إلى شخصيات سياسية ودينية أجنبية، و٤٢٠ رسالة موجّهة إلى شخصيات إيرانية، و٣٥٠ بياناً.

كما أنَّ المجموعة المؤلّفة من ٢٢ جزءاً تحت عنوان "صحيفة النور"، يُضافُ إليها كتاب "مفتاح الصحيفة" - وهو فهرس لأجزائها الاثنين والعشرين – هي المجموعة الشاملة التي صدرت حتى الآن، والتي تضمّ أحاديث الإمام الخميني وبياناته وأحكامه ورسائله.

بعد ٣٣ عاماً على الرحيل، يستشعر المرء أنَّ الإمام الخميني ما زال - وسيبقى - حاضراً بقوَّة بجهاده وفكره ومنهجه وبساطته وحجم الإنجازات التي تحقَّقت على يديه، وهو ما يؤكّده الواقع. كما أنّ قوة الجمهورية الإسلامية الإيرانية والنهضة الإسلامية العالمية ومكانتها من أبرز المصاديق على الحضور الدائم والتأثير المتواصل للإمام الراحل.